" كل ما في هذه الرواية هو من محض الخيال، أي تشابه بين الأحداث والشخصيات والواقع هو بالصدفة"

تحت ظلال السيوف

"إنّ الشدائد تصنع الرجال، والقسوة تصقل معدنهم، والفقد يحجر قلوبهم فلا تبالي بعدها هذه القلوب الميتة بما يحدث لها من مصاعب ومصائب!"

في صحراء شاسعة وعلى تلة مطلة على ديار بني شديد، جلس طفلٌ في العاشرة من عمره يراقب ما يحدث في "الديرة"، حيث توزعت بيوت الشعر على طول السهل الرملي الذي أحاطت به بعض التلال ذات الصخور الحمراء، أخذت الرياح تداعب شعره الطويل المنفوش بينما كان يتربع على قدميه وفي يديه عصاة لا تفارق يديه!

كانت قبيلة بنو شديد من البدو الرحل حيث لا يستقرون في مكان بحثًا عن الماء والعشب والخضرة لرعاية حيواناتهم من إبل وغنم وماعز، وعين فارس ابن شديد كانت بين الديار وبين قطيع الأغنام الصغير الذي أخذ يرعى العشب تحت أنظار فارس وكلاب الرعي!

وبينما فارس يراقب لاحظ وجود غبار كثيف يتسارع ويأتي من الأفق ويقترب من ديار بني شديد، لم يعرف الطفل ماذا تحت سحابة الغبار وظن أنها زوبعة ستمر سريعًا

وقف فارس لكي يرى بوضوح اقتراب الزوبعة من ديار، وسرعان ما انكشف إنهم مجموعة من الغزاة قادمون للسلب والنهب، نزل فارس من على التلة وركب حمار الرعي وضربه بالسوط فجرى الحمار بشكل سريع تجاه الديار، أخذ فارس يجري بالحمار بين بيوت الشعر وهو يصرخ بأعلى صوت: غزاااة، غزاة يا بني شديد، فرسان وسيوف وموت!

دب الذعر في كل الديار وصرخ شيخ بني شديد بأعلى صوته في شباب وفرسان الديرة لحماية نسائهم وأموالهم، لكن الغزاة الذين تلثموا بالسواد كانوا أكثر بكثير من فرسان الديرة، أخذوا يقتلون من يجدون في طريقهم وينهبون الذهب والأغنام والجمال، بينما اختبأ فارس بحماره خلف أحد بيوت الشعر، فماذا تنفع العصا أمام السيف وماذا يفعل جسده الصغير أمام رجال أشداء معتادين على الضرب والقتال!

تعالت أًصوات القتال في كل الديار وأشعل الغزاة بعض البيوت، ومنها البيت الذي كان يختبئ وراءه فارس، رأى أحد الغزاة الملثمين فارس ذا العشر سنوات، ولسبب ما قرر أن لا يقتله، وطلب منه الركوب معه على الفرس لكي لا يقتل!

ألقى فارس نظرة على ديار الطفولة وهي تحترق، وأفراد قبيلته وهم يقتلون وقرر أنه لا خيار لديه سوى الهروب مع الملثم، اقترب فارس من الفرس، فرفعه الملثم بيد واحدة واركبه وراءه على الفرس!

نادى زعيم اللغزاة بالرحيل، حيث أنه نهبوا كل شيء، وقتلوا عددا غير قليل من بني شديد، سمع الملثم وفارس الصوت وعادا مع اللصوص إلى غيابة الصحراء!

لاحظ زعيم الغزاة فارس مع الملثم وأراد قتله، فحماه الملثم وقال أنه غنيمته وسوف يبيعه في سوق العبيد!